تجليات الجندر في الرواية التونسية رواية الملائكة لا تطير للروائية فاطمة بن محمود

Gender manifestations in the Tunisian novel

Novel angels do not fly- by-Fatima bin Muhammad

براهمي فطيمة

الجامعة: جيلالي ليابس سيدي بلعباس . الجزائر brahhiba@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/11/07 تاريخ القبول: 2021/07/14 تاريخ النشر: 2021/12/16

ملخص: عرف المنجز الروائي تحولات وتغيرات كبيرة خاصة ما تعلق بالرواية النسوية التي قطعت أشواطا كبيرة ، حيث لبست ألوانا و ألبسة متعددة ، و تبنت العديد من القضايا ، و تمثلت العديد من التيمات ، و لم تغب الرواية التونسية عن هذا التحول في تناول طروحات ذات الصلة بالمجتمع من بينها ختان البنات ، التطرف ، و غيرها من المواضيع الشائكة . يهدف هذا البحث إبراز الجندر في الرواية التونسية .تم الاعتماد على مجموعة من الآليات السردية .

كلمات مفتاحية:: الجندر، الرواية .التونسية ، الختان ، التطرف، رواية. الملائكة. لا. تطير ، فاطمة. بن محمود

. **Abstract:**

The fiction alachievement knew many transformations and changes, especially with regard to the feminist novel that made greats trides, as it wore multiple robes and clothes, adopted many issues, and represented many themes, and the Tunisian noveldid not neglect this shift in dealing with propositions related to society from Among them:female circumcision, extremism, and other thorny topics. This research aims to highlight the gender in the Tunisian novel, and thenrely on a set of narrative mechanisms.

Key words: Tunisian .novel, circumcision, extremism, the novel .of angels not flying, Fatima .ben Mahmoud.

1-مقدمة:

فرضت الرواية نفسها في الساحة العالمية ،و الساحة العربية على وجه الخصوص ، و خطت خطوات حثيثة كللت بالنجاح من خلال ما تطرحه من قضايا و هموم تتعلق بالمجتمع بالدرجة الأولى، و حازت الريادة على نظيرتها من الأجناس الأدبية الأخرى .

أضحت الرواية التونسية تبحث عن ما يحقق وجودها و كينونتها ،و ذلك بالانفتاح على عوالم و أساليب جديدة ، و يتجاوز المضامين البالية ، لتصبح الكتابة الإبداعية نوع من الاختراق و الانتهاك المسكوت عنه ، معتمدين على التجريب لتكسير الرتابة التي رافقت الرواية ردحا من الزمن.فبرزت إلى الساحة الأدبية ثلة تحمل هاجس التطوير و التجاوز أسماء روائية تونسية كثيرة تسعى لصياغة نسق ثقافي و مشهد إبداعي ساهم في بلورة نسيجها الروائي ، فطرحت عديد القضايا في الرواية التونسية نذكر من بينها: ختان البنات ، التطرف الديني ، الهوية ، تشظي الذات ، الجنس و الجسد و غيرها من القضايا ذات الصلة بالمجتمع. و شكلت المرأة تيمة من التيمات التي رافقت مختلف الأجناس الأدبية على مر العصور و الأزمنةن هذا من جهة ، و من جهة أخرى اعتلت المرأة منصة الكتابة النسوية مهتمة بكل ما يتعلق بالمجتمع.و من أهم المصطلحات التي رافقت النقد الثقافي النسوي قضية الجندر الذي يحيل إلى السمة الاجتماعية للجنس ، و هي تتعلق بالأدوار و السلوكيات التي تتعلق بالمرأة و الرجل.

و الإشكاليات المطروحة في هذا الموضوع : كيف تم تمظهر الجندر في الرواية التونسية ؟ كيف تناولته الروائية التونسية فاطمة بن محمود ؟ و ماهي الأنساق المضمرة التي تضمنتها الرواية؟ .

هذه الإشكاليات و غيرها سيتم الإجابة عنها من خلال هذه المداخلة.

2-الرواية التونسية رواد و رائدات:

شهدت الرواية التونسية تطورا ملحوظا خلال فترة التسعينيات ، و تنوعت صنوفها بتنوع قضاياها ، و هي تعد أكثر الأجناس استحواذا على المشهد الثقافي ، و إثارة جمهور المتلقين ،فقد عرفت عبر مسيرتها تغيرات :« إن ما يمكن أن يتوصل إليه المعني بشأن الرواية التونسية هو أن هناك روايات نشرت في مجلات أو كتاب و لكنها تظل شتات روايات و ليست روايات ضمن حركة روائية لها ملامحها و رموزها كما هو الشأن في مصر و سوريا و العراق و لبنان مثلا ، و أنا أعني هنا البدايات ، و مادامت هذه تمثل مرحلة التأسيس إلى الآتي فإنها روايات متفاوتة الاتجاهات ..»[1] . ويضيف عبد الرحمن مجيد بخصوص الرواية التونسية أنه :«لا يمكن الحديث عن مضامين قصص و روايات بمعزل عن المراحل السياسية للبلد الذي كتبت فيه ، إذ أنها حتى لو جنحت إلى ، و موهت فإن الربط بين مضامينها وواقع كاتبها و مرحلتها لن يكون عسيرا ، و بقدر ماكان الهاجس السياسي و كذلك الاجتماعي قويا ...استعمار ، تخلف ، سرقة ثروات ، دكتاتوريات ، قمع للمعارضين عداء للأحزاب التي لا تنصاع لإرادة الحكام »[2].

و انطلاقتها ارتبطت ببزوغ خمس روايات ما بين سنتي **(1945م و 1962م)**، لكن هناك روايات سبقت هذه المرحلة و هي لأسماء دبجوا الرواية التونسية نذكر على سبيل التمثل لا الحصر :"**صالح السوسي" (1906م)** في رواية "**الهيفاء و سراج الليل**" ، و "**الساحرة التونسية**" لــ لصادق الرزوقي 1910م ، كم أن أول رواية بمواصفات حقيقة صدرت في تونس لعلي الدوعاجي في رواية حول

حانات البحر المتوسط صدرت سنة 1935م ،بالإضافة إلى زين العابدين السنوسي في الرواية التاريخية قناة الجمر ، و محمود المسعدي أشهر أعماله السد فقد دبج مقدمة روايته طه حسين ، حدث أو هريرة قال ، رواية الدقلة في عراجينها للروائي البشير خريف سنة 1569م ، رواية التوت المر لمحمد لعروسي المطوي 1967م ، على الدوجاني رواية سهرت منه الليالي ، ليلة السنوات العشر لمحمد صالح الجابري 1982م .هؤلاء المبدعين أثثوا للرواية التونسية و أرسوا معالمها و بعض التقنيات المتعلقة بها .هؤلاء المبدعين أثثوا للرواية التونسية و أرسوا معالمها و بعض التقنيات المتعلقة بها ، هذا عن الكتابة الذكورية ، أما الكتابة النسوية شهدت تطورا ملحوظا بعد دخول المرأة عالم الكتابة الإبداعية في إثراء الزخم المعرفي و الروائي تحديدا ، و الانطلاقة كانت مع صدور رواية "**آمنة**" للروائية زكية عبد القادر ، و ذلك في سنة 1968م ، التي تعد من بواكير الرواية النسوية تصدر باللّغة العربيّة في تونس.

و بالموازاة مع هذا ظهرت أسماء نسوية روائية كثيرة طبعت المشهد التونسي من بينهن "**حفيظة القاسمي**" في رواية **(أنحت شكلي من جذع شجرة)** ، الروائية "**هند الزيادي**" رواية **(المرآة)** ، رواية **(زلة الخاصرة)** لـ:"**فتحية بن فرج**" .إذا عدنا إلى أول من تصدرت الرواية النسوية التونسية الروائية " **زكية عبد القادر**" **في روايتها الموسومة بـــ : آمنة** ، و ذلك سنة **(1968م)** الصادرة باللّغة العربيّة، تضاف إلى هذه الأسماء الروائية أسماء أخرى أمثال "**سلمى البانقي**" ، "**آمال مختار**" ، "**خولة حمدي**" ، "**نعيمة وسلاتي**" ، "**فتحية الهاشمي**" ، **نجاة زقية** [3]، بالإضافة إلى الروائية التي هي محل دراستنا "**فاطمة بن محمود**".اختلفت الآليات و التقنيات في السرد الروائي النسوي من روائية إلى أخرى .

حري بنا قبل الحديث عن الجندر لابأس من الوقوف على مصطلحي النقد الثقافي و الجندر.

3-1-النقد الثقافي:

الذي لا ريب فيه أن مصطلح النقد الثقافي مصطلح واسع ، و يختلف باختلاف الدراسات و الأبحاث و الثقافات ، يعد النقد الثقافي واحدا من الاتجاهات التي طبعت الساحة الأدبية في فترة ما بعد الحداثة ، حيث ذهب إلى تجاوز الدراسات التي أولت أهمية للجوانب البلاغية و الجمالية متناسية في ذلك النسق الثقافي داخل المدونات الإبداعية. طرح مشروع النقد الثقافي عند الغرب قبل العرب ، يذكر "**عبد الله الغذمي**" أن من أثار هذه القضية هو "**فنسنت ليتش Vincent Leitch** " الذي يعد من رواد في معالجته أتى كبديل في مرحلة مابعد البنيوية و ما بعد الحداثة ، و هدف ليتش إلى إعادة النظر في بعض الطروحات من بينها مسألة الخطاب في شقه التحليلي [4].إلى جانب هذا فـ :« النقد الثقافي نشاط و ليس مجالا معرفيا خاصا بذاته ، كما أفسر الأشياء بمعنى أن النقاد الثقافة يطبقون المفاهيم و النظريات في هذا الكتاب–في التراكيب و تباديل – على الفنون الراقية و الثقافة الشعبية ، و الحياة اليومية ، و على حشد من الموضوعات المرتبطة ،فإن النقد الثقافي –كما أعتقد هو مهمة متداخلة ، مترابطة متجاوزة....و بمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب و الجمال و النقد، و أيضا التفكير الفلسفي و تحليل .. »[(5)] . و تطور مصطلح الثقافي مع هو "**فنسنت ليتش Vincent Leitch**" بظهور **(مجلة النقد الثقافي)** في الجامعة الأمريكية مينيسوتا و هي تنهض على مختلف الممارسات الممارسات الثقافية [6] .و عليه يمكن القول أن النقد الثقافي يتكأ على مجموعة مصطلحات مثل الجندر ، الأنساق المضمرة ، قضايا الهامش و المركز و غيرها ..

3-2-الجندر:

يشكل موضوع الجندر أو الجنوسة من أبرز المواضيع التي استحوذت على الكتابات الإبداعية النسوية في الآونة الأخيرة ، حيث ذهبت المرأة إلى تعبير عن قضايا المجتمع متجاوزة بعض التقاليد و الأعراف السائدة آنذاك ، يشير مصطلح الجندر :« إلى مجموعة من الأدوار و العلاقات ذات التكوين الاجتماعي و الصفات و المواقف و السلوكيات و القيم و موازين القوى و القدرة على التأثير التي ينسبها المجتمع إلى الجنسين على أسس تفاضلية .الجندر هو هوية مكتسبة يتم تعلمها و تتغير مع مرور الوقت و تختلف على نطاق واسع داخل و عبر ثقافات .الجندر لا يشير إلى الذكر و الأنثى بل إلى العلاقة بينهما »[7].كما أنّه من المفاهيم :« الذي تمحورت حوله الدراسات النسائية في كافة المجالات : السياسية و الاقتصادية و البيولوجية الطبية و التفسية و العلوم الطبيعية و القانونية و الدينية و التعليمية و الأدبية و الفنية و فضاءات العمل و التوظيف و الاتصال و الاعلام و التراجم و السير الذاتية »[8] . ومنه الجندر ارتبط بمختلف ميادين الحياة .

يضيف "**محمد عناني**" في مؤلفه **(المصطلحات الأدبية الحديثة)** أن الجندر:« أول مصطلح من المصطلحات الشائعة هنا ، و التي أصبحت تجري على كل لسان في الغرب و لا يخلو منها كتاب و صحيفة...هو مصطلح Gender ...ورد في تركيب Gender Bias و لو أنه يعني حرفيا الانحياز لأحد الجنسين ، و كلك فنحن يترجم Gender Sensitive في الكتب العلمية ووثائق الأمم المتحدة بتعبير حسب النوع أو الجنس ، أي يأخذ في اعتباره كون الشخص رجلا أو امرأة و من ثم فلابد من النظر في هذا المصطلح »[9] . تعني كلمة:« جندرGender بالإنجليزية ، تقابل كلمة Genre بالفرنسية و تدل على النوع الاجتماعي بالعربية .و يقرّ المفهوم بوجود الاختلافات و التنوع في

الأدوار بين الجنسين حسب ما هو سائد في الثقافة »[10] . هذه بعض الإحاطة البسيطة التي تتعلق بالنقد الثقافي و مفهوم الجندر.

4-المشهد الجندري في رواية الملائكة لا تطير لفاطمة بن محمود:

تعد"**فاطمة بن محمود**" من الأسماء البارزة في الساحة الثقافية التونسية ،فقد عرفت شاعرة ، و روائية و ناقدة ، لها ديوان شعري موسوم بـ:ما لا تقدر عليه الريح الصادر عن دار ميّارة للنشر و التوزيع ، تونس في طبعة أولى ، سنة(2019م).

تملك "**فاطمة بن محمود**" رواية سبقت **(رواية الملائكة لا تطير)** ، هي **(امرأة زمن الثورة)** ، و هي أقرب ما تكون إلى السيرة الذاتية ، عبارات عن شهادات قامت بتدوينها يحول الأحداث التي عرفت في تونس كما أطلق عليها بـ: **الربيع العربي أو ثورة تونس** ، و رواية **(لملائكة لا تطير)** ، بالإضافة إلى العديد من الدراسات النقدية و المقالات و الحوارات في رصيد الروائية.

5-عتبة العنوان في رواية الملائكة لا تطير لفاطمة بن محمود:

5-1ملخص الرواية:

صدرت رواية **(الملائكة لا تطير)** للروائية "**فاطمة بن محمود**" ، فقدت وصلت إلى القائمة القصيرة في جائزة راشد الشرقي للإبداع 2019م ، الصادرة عن دار زينب ، بتونس .تتوجه الروائية إلى كتابة عمل آخر مستفز في مضمونه و طروحاته ، فيحاكي الواقع التونسي بتناقضاته و تمفصلاته ، و تختزل الحياة المريرة للمرأة العربية عموما التونسية بصفة خاصة ، من خلال رصد قضية من أهم القضايا و برزها التي طبعت الواجهة الثقافية ، تتعلق تحديدا بقضية ختان الإناث التي أخذت أبعادا كثيرة .

و يضاف إلى هذه القضية قضية أخرى تتمحور حول الثورة في تونس ، و تسلم الترويكا الحكم بقيادة حزب النهضة الديني ، تسعى الروائية من خلال روايتها تفضح دسائس الإسلام السياسي و هيمنته على المجتمع التونسي ، و بلورة فكرة الإرهاب و زعزعة أمن تونس ، و ترسيخ فكرة ختان الإناث ، و

تم الترويج لها بعد زيارة الداعية المصري " **وجدي غنيم**" ، لأن ظاهرة الختان وجدت في العديد من البلدان العربية و بصورة أكبر في مصر ، و السودان ، و موريطانيا ، و بعض الدول الأخرى التي تبقى مغمورة بفعل القهر و الاضطهاد الممارس عليها و عدم الإفصاح عنها.

تدور أحداث **(رواية الملائكة لا تطير)** بزمنين مختلفين زمن قبل فرار الرئيس التونسي "**زين العابدين بن علي**" ،و الزمن الموالي هروب الرئيس ، سنة **(2011م)** ، تتضمن الرواية حكاية عائلة تونسية بسيطة مؤلفة من الأب "**سيف**"الذي يتبنى الفكر اليدين السلفي المتطرف ، كما أنه ينتمي إلى الجماعات المتطرفة ، الزوجة "**ليلى**" التي ترضى بفكر زوجها و تطبقه دون نقاش تفاديا للتعنيف أو الضرب المبرح ، و الرواية مبنية على الطفلة الصغيرة " **نور**" التي تقع ضحية لفكر أبوي متخلف ، حيث قام بختانها، ليدمر حياتها و يسلبها البهجة مثل قريناتها، و لا يقف عند هذا الحد، ليقرر أن يزوجها بأحد من أتباعه السلفيين المتطرفين، فلم تجد الطفلة " **نور**" من سبيل سوى الانتحار أثناء حفلة زفافها.

5-2عتبة العنوان:

صارت عتبة العنوان من بين الأمور الرئيسية التي لا يتم تجاوزها ، و الوقوف عنها حسب الموضوع الذي تتم معالجته ، ولقد أولى المؤلفين عنايتهم الكبيرة بمصطلح العتبات "**جرار جنيت**

Gérard Genette" صاحب مؤلف (عتبات**Seuils**) الذي صدر سنة **(1978م)** ،و اقترح مصطلح "**المناص Paratexte** " فهو يعني النص الموازي للنص الموازي :« و هو ما يصنع به النص كتابا و يقترح ذاته بهذه الصفحة على قارئه و عموما على الجمهور ، أي ما يحيط بالكتاب من سياج أولى عتبات لغوية و بصرية »[11] .يذكر "**سامح الرواشد**" أنّ :« الجملة التي تواجه القراء و السواد الأول الذي يقلص مساحة البياض فوق النص » [12] . يقترن حضور العتبة بالعنوان ، فهو أول شيء يستوقف القارئ أو الجمهور ، و ما يميز أي نص عن آخر ، فيعتلي منصة الواجهة ليحيل على فحوته للوصول إلى المعاني و الدلالات التي يضمرها ، و بهذا فإن أي عنوان لأي مدونة إبداعية :« ..يكون عبارة صغيرة تعكس عادة عالم النص المعقد الشاسع الأطراف »[13] . لا يمكن يستفتح كل مستغلق إلا من خلال العنوان للولوج إلى عالم النص ، و فك شفراته الملغزة ، و نظرا للأهمية التي يحوزها العنوان باعتباره :«خطابا قائما بذاته له قوانينه التي تحكمه ، و لا غرابة في ذلك مادامت العتبات في حقيقتها صير بمثابة نص مواز للمتن »[14] . يخلق النص الموازي نوعا من التفاعل بينه و بين المتلقي ليصل إلى الأنساق المضمرة المسكوت عنها.

إنّ اقتحام عوالم النّص مرهون بمسارات مرتبة انطلاقا من العنوان الذي يشكل نقطة العبور للولوج إلى

إلى المدونة ، و يعد من أبرز العتبات النّصية التي تحمل ترسانة من المعاني و الدلالات اللانهائية فتتفيأ بفيئها و ظلالها بقية العناصر المشكلة للموضوع.

أ-عتبة الألوان:

الملاحظ على غلاف الأمامي **(الملائكة لا تطير)** للروائية "**فاطمة بن محمود**"، ينساب بين الرمادي و الأبيض، و الأسود و الأحمر. اختارت الروائية الألوان بعانية فائقة فهي تتساوق جماليا مع محتوى الرواية ، بحيث ربطت التعتيم و اللون بالسياقي الثقافي داخل المجتمع التونسي ،و كأنها على دراية بالفنون التشكيلية ، فهي منفتحة على مختلف الثقافات و الحضارات .

توظيف هذه الألوان نابع من مضمون الرواية و شخصياتها و أحداثها المتشابكة ، فأول هذه الألوان اللون الأسود حيث تم نعت الشابة "**نور**" بالكيس الأسود لأنهم علموا بختانها وأصبحت منبوذة في حجرات الدرس :« آلمها كثيرا أن ينفر منها التلاميذ فيعاملوها بلامبالاة .هي تعرف كيف تفسر ذلك و لا تجهد نفسها من أجل التواصل معهم ، ربما لأنها فعلا كيس أسود كما يحلو لبعضهم أن ينعتها »[15] .تذكر الروائية تبلور اللون الأسود :«مرت سنوات عديدة على ذلك الربيع الأسود ، على ذلك اليوم الحزين ، على لسعة المقص الحارسة .لا أستطيع نسيان ما حديث »[16] . فوالدها "**سيف**"جعل من حياتها العتمة والسواد بعد ختانها.

أما اللون الأحمر فقد كان الطاغي على أحداث الرواية و هو ما توزع على تفاصيل غلاف الرواية:« أُلقيت نور على ظهرها و هي في حالة فزع شديد ، كان الألم يزدحم في حلقها ليخرج كتلا من الصراخ الحاد .إلى جانبها والدها و قد فتح يديه القويتين ... و رجل غريب يرتدي ميدعة بيضاء و قفازين شفافين يهيئ ضمادة مضمخة بالدماء . عندما مددت رأسي ناحية نور كانت الدماء تلطخ فخذيها و لون اللحاف تحتها إلى الأحمر القاني »[17] .فاللون الأحمر طبع حياة الطفلة "**نور**"على امتداد الرواية لم يفارقها حتى في مراهقتها.

أما اللون الأبيض فتمازج مع الرمادي ، فتجسده الروائية في الكتابة و تدوين شبه سيرة ذاتية تخطها "**نور**" ثم تتوقف و تتيه في سرداب حادثة ختانها : «...تبقي رأسها على الطاولة وتبكي ، الدموع المنسابة بغزارة تركت بقعة واسعة من في مساحة بيضاء من الورق كأن الدموع تكتب أيضا ما تخلفت نور عن كتابته بالقلم »[18] . يتشظى و يتناثر اللون الأبيض مع الرمادي على فصول الرواية ، و إن كان اللون الأبيض سيتجسد مرة أخرى في عنوان الرواية .

ب-عتبة عنوان الرواية:

يوحي عنوان الرواية **(الملائكة لا تطير)** بالضبابية و الغموض ماذا قصدت بالملائكة لا تطير؟ عنوان يحمل ألغازا و إيحاءات كثيرة ، كما يحمل الدهشة و الاستفزاز نحاول تجلية بعضها من خلال أحداث الرواية ، من خلال القراءة الأولية لعنوان الرواية يتعلق بالمجموعة المتطرفة التي تدعي الطهر و النقاء ، و تحارب كل أشكال الغفلة و العري و الانحلال والتفسخ الأخلاقي ، يتجسد ذلك مع شخصية " **سيف**" أبو الطفلة "**نور**" الذي اختار طريقا جديا في حياته بعدما عاش حياة العبث و اللهو كأقرانه من الشباب ، يخرط مع جماعة الإخوان في تونس يحاول يصفي روحه من براثن الرذيلة و نجاستها ، و يجسد ذلك في اللحية التي هي من رموز المسلم الطاهر :«.... من حكمة اللحية أنها تميز المسلم الحقيقي ومن محاسنها له أنها تستر عيبه و تغطي ماضيه السيء ، يتذكر جيدا كيف أنه تفاجأ بأن اللحية نفسها كانت موضوع خلاف شديد بين رجال الدين ، يتنازعون حول القول بتحريمها أو إباحتها أو كراهيتها ...بالنسبة إليه أطلق لحيته على عادة السلف الصالح و اقتداء بإخوته في الإسلام.... »[19] . يرى نفسه مع الأطهار والأتقياء واللحية البيضاء دلالة الأصفياء الذين يدعون إلى الطريق الصالح، فهو يرى نفسه من الملائكة المحلقة لكنها لا تطير ، فهو يتصادم مع واقع ينشد الحرية و تحرر المرأة من قيود الإسلام ، و يظهر ذلك جليا في نزاعاته المتكررة مع أخت زوجته التي تأتي إلى المنزل بجينز ضيق و شعر منسدل على كتفيها فهو يراها مدعاة إلى السفور و الخروج من الدين الإسلامي.

أما الدلالة الثانية للعنوان يتعلق بالطفلة "**نور**" التي تم ختانها تحاول عبثا أن تراقص حياتها و تكسر التقاليد عبر محطات تعيشها و تخط تفاصيلها صورة المرأة المجسدة على غلاف الرواية امرأة عارية عرت مشاهد الحياة التي رسمها له والدها و أمها التي تتلظى بسلطته وفرض عليها تطبيق قوانين المنزل تحت غطاء الدين تحت طائلة من القوائم التي تجدها معلقة على الحائط .و تراقصها طيور النورس كأنه تحرر من غياهب الجهل والتخلف الممارس على البنت "**نور**":«....غطست رأسها في البحر، تشعر الآن بخصلاتها تتماوج في الماء ، ثم ردته بحركة رشيقة إلى الخلف ، فارتد شعرها إلى الوراء دفعة واحدة . و تناثرت قطرات الماء في نصف دائرة ، و كانت حركة ممتعة.... »[20] .شعرت "نور" ببعض التحرر من السلطة الأبوية و حتى الأم التي كانت ترضخ لكافة القوانين التي يميلها عليها وتجبر البنت على تطبيقها، وجدت في البحر فضاء حر أين نزعت خمارها و تركت شعرها تداعبه أشعة الشمس و تراقصه الأمواج و تحوم فوقه النوارس ، عاشت لحظات بعيدا عن الأوهام و

الخيالات التي كانت تعيشها مع القصص و الروايات تقرأها سرا بعد أن ينام والدها و أمها تحت الغطاء وعلى ضوء الهاتف الخافت تعجب بالشخصيات خلسة عن أنظار العائلة.

اختارت الروائية "**فاطمة بن محمود**" فضاء البحر أين لملمت "**نور**" روحها المنكسرة شعرت بتجدد الحياة و كأن البحر يحتضنها أكثر من أبيها الذي يمارس التعنيف عليها و على أمها :« شعرت بالنوارس تحلق حولها ، كأنها تساندها و تشجعها على الحياة ! فتحت ذراعيها فبدا جسدها لمن يراها من بعيد في هيأة صليب ، لكن كل الأصنام كانت قد تهاوت عندها....»[21] . و هي الصورة التي وضعتها الروائية "**فاطمة بن محمود**" على غلاف الروايةصورة البنت ترقص و تظهر على شكل صليب ، و هو ما تجسد مع نور في البحر. و قد طرح على الروائية لم توظف في البعض من أعمالها أداة **(لا)** : "رغبة أخرى لا تعنيني"، "الوردة التي لا أسميها"، "الملائكة لا تطير"... ما سرّ اللاءات المتعددة في أعمالك الأدبية؟ فأجابت مايلي : « مثلما هتف الفيلسوف الفرنسي ألان "أن نتفلسف هو أن نقول لا"، أعتقد أيضاً أننا نكتب لنقول "لا" بصوت مرتفع.. لا للوعي السائد ولا للأحكام الجاهزة ولا للحياة الساكنة ولا لصمت البيوت ولا لإلجام العقل. الرفض هو سر العملية الإبداعية ومحركها ولا معنى لأي كتابة تأتي لتحافظ على ما هو موجود، لا يأتي المبدع لتأييد السياسي أو ليكون "برغي" في مكينة المؤسسات الرسمية، ولعلنا بهذا نميز بين الكُتّاب والكَتَبَة. أعتبر الرفض جوهر العملية الإبداعية والمبدع الحقيقي لن يتباهي بشجاعته الأدبية لأنها ليست ميزة يضيفها هو على الإبداع، بل هي شرط ملزم له وهذا ما يجعل من الكتابة مغامرة حقيقية، لذلك أن نكتب هو أن نجتاز الخطوط المرسومة مسبقاً وأن نكتشف طرقاً جديدة لدخول الغابة وهو الاسم الآخر للعالم، وأن نبحث عن مجرى مختلف لنهر الحياة.. لذلك من خلال ما أكتب أقول أنا جئت هذه الحياة لأقول لا»[22] .فكانت عبارة **(لا)**كفيلة برفض كل أنواع الخنوع و رضوخ لمظاهر الظلم و الطغيان ، فقد اقتحمت الطابو و دخول دهاليزه وعرت التقاليد البالية التي كبلت المجتمع ، فكم من طفلة ملائكية تعرضت للختان بدعوى تطبيق الشريعة الإسلامية ، فكانوا يحلون و يحرمون حسب أهوائهم ، فعبارة الملائكة كانت إشارة إلى البراءة الطاهرة التي لاستطيع الطيران :« أتذكر أني كنت أصيح بشدة، أتلوى و أهيم بأن لكن أبي قطع جناحي و سلب قدرتي على التحليق ، يغنّي اللتين تفيضان دمعا ، رأيت الغرفة شبه مظلمة و الباب مغلقا و كذلك النافذة .لطمت رأسي على الوسادة حاولت التملص بين القبضتين الحديديتين.أحببت أن أطير ، تمنيت أن أطير! »[23] .يبرز هنا التلميح إلى القمع الممارس عليها من طرف والدها و جبن أمها التي لم تنبس ببنت شفة واكتفت بالبكاء يوم ختانها خافت المواجهة و الدفاع عنها.

6-الأنساق في رواية الملائكة لا تطير لفاطمة بن محمود :

يتوقف تشكل المنجز الروائي بتواشج الأنساق الثقافية و تشابكها ، ويحدث التداخل :«نتيجة التعالقات والتفاعلات بين الأنساق المتعددة والتي تنتج غالبا عن توافقات وتنازلات متبادلة فيما بينها بحسب الحالة المعروضة»[24].تنصهر النصوص الروائية داخل بوتقة الأنساق الثقافيةو تتماهى معها و هي من تستدعيها. وتلك النصوص تتألف من مجموعة من الأنساق التي تمليها عليها الظروف والأحوال الاجتماعية، وغيرها.

نحاول من خلال هذا الموضوع تسليط الضوء على مجمل الأنساق التي توفرت عليها الرواية وهي كالآتي:

أ-النسق الديني و السياسي:

تتبني الرواية في مجملها على نسق ديني محكوم عليه بالتطرف و الإرهاب ، و هو ما برز في "**سيف**" والد "**نور**" ، أين تغيرت حياته من حياة اللهو و الطيش ،و التوجه نحو حياة الدين و السلفية :« يتبادل سيف و بعض إخوته في الله نظرات يمتزج فيها الخوف بالإيمان ، ثم يتسللون بحذر شديد ليجتمعوا في سرية تامة ، داخل البيت من بيوت الحي الذي يتغير عنوانه في كل مرة »[25] . رواية تجسد ممارسات تجار الدين وتفضح الاسلام السياسي الذي يفرض هيمنته، و التف حوله شباب كثر من القرى و المدن النائية التي تعيش التهميش والفراغ ، ذهب المتطرفين إلى استقطابهم بتوفير لهم العمل وتمويلهم بالتكنولوجيا الهواتف والمواقع التي تسهل سرعة التأثير عليهم و تخذير عقولهم وهي الفترة زار تونس الداعية "**وجدي غنيم**" و زيارته تلك أثارت لغطا كثيرا و طرح العديد من المواضيع في تونس من بينها **(ختان الفتيات)** و هذا ما حدث لنور من طرف أبيها الذي أحضر لها غريب و قام بختانها . تصارع الطفلة عقد نفسية و تنغص عليها حياتها داخل المنزل، و في الدراسة وحتى في مرحلة الثانوية أين تعيش الرفض بعد علم زملائها بختانها أصبحت فتاة منبوذة، رواية تبلور الانغلاق و تجسده ، و ترسل أرجل التطرف في تونس من خلال هذه الحوادث .نذكر من بينها حادثة **(جماعة سليمان)** هي إحدى الخلايا السلفية الإرهابية المتطرفة:«....عرفت في تونس بجماعة سليمان كانت

تعد لضرب منشآة حيوية و مصالح أجنبية واغتيال شخصيات تونسية للانقلاب على حكم ابن علي تم الكشف عنها سنة 2006 . كان ذلك اكتشافا خطيرا لم أتوقعه، خلت أن المسألة لا تتعدى لقاءات سرية لنتحدث في أمور الدين لانقلاب سياسي كبير »[26] .بسط الإسلام السياسي نفوذه، عرفت تونس أزمة الترويكا و الانشقاقات داخل هرم السلطة، و كاد الربيع العربي أن يعصف بتونس لتدخل في دوامة دموية و تعمل على تصفية الحرية الاجتماعية وبناء دولية سلفية متطرفة ترفض أنواع السفور و الانحلال الخلقي و تقود البلاد نحو الهاوية و النهاية الحتمية.

ب-النسق الاجتماعي:

تصور الرواية حالة المجتمع التونسي و تفككه بنيانه ، و تلاشي العلاقة الأسرية خاصة مع شخصية "نور" ، و والدها "سيف" ، و أمها "ليلى" ، تضمر الرواية هشاشة الروابط الأسرية التي تحكمها قوانين وهمية تحت مظلة محاربة السفور و التفسخ الأخلاقي ، تحاك البنية الاجتماعية في :« هذه الجلابيب اشتراها لك والدك ، من اليوم يجب أن تستري نفسك بهذه الأثواب ... نظرت -يومها- إلى الجلابيب لم تكن من عادتي أن أواجه أبي بالأسئلة كأني ورثت ضعف أمي ، كأنها أرضعتني استسلامها »[27] .إن انتماءه إلى الجماعة السلفية و الحديث الطويل عن العري المتعلقة بالبنات ، جعله يطبقه على ابنته الصغيرة بشكل متشدد ، و طرده الدائم لأخت زوجته التي كان يكن لها الكره بسبب هنداما غير المستور ، و سروال الجينز الضيق و شعرها الذي تطلقه دائما ، لتغيضه بتدخين السجائر و تنعته بالمتخلف و المنغلق الذي يمارس سلطة أبوية متسلطة على عائلته الصغيرة .

يتسع النسق الاجتماعي إلى الفتاة نور لما تنتقم من والديها بلقاء الشاب "**فارس**" الذي يدرس معها ما قرأته في الروايات تجسده على أرض الواقع حتى تغيض والدها بشكل كبير جدا بسبب ختانها و حرمانها من حياتها .انتهكت المحرم و كسرت القيم و الأعراف التي تربت عليها :« يجب أن تتعدد لقاءاتي بفارس ، أحبب أن أنتهك هذا الجسد المنقوص فجعلت بيت فارس حديقتي الخلفية و سري العميق .لقد أصبح لي عالمي المدهش رغم أني في كل أركض في مروج اللذة و لا أصل ، يشتد صهيل جسدي ، ثم يتحول إلى فحيح مر .رغم هذا أدمنت حديقتي و أحببت هذا السر في حياتي .يلذ لي أن أعود إلى البيت, أنظر إلى وجه والدي ، كأني أريد أن أكشف لهما أن حارس القيم الذي أسكناه

داخلي من ورق وأن صك الشرف الذي اقتطعاه من جسدي بلا قيمة »[28] . ذكرت الروائية العديد من الأنساق الاجتماعية الكثيرة ، لتصل إلى تزويج "**نور**" وهي تجهز نفسها لاجتياز البكالوريا يفرض عليها والدها رجل أكبر منها ومن الجماعة السلفية ، ولا يهتم لرأيها بخصوص العريس، فيقول :« هذا التعليم العلماني الكافر يعلم الشباب الابتعاد عن الدين »[29] . هذه ظاهرة معروفة إجبار الفتاة بعد بلوغها على الزواج و التخلي عن الدراسة ، سينجر عن هذا لأمر حدوث ما لا تتوقعه عائلة "**نور**" هو انتحارها يوم زفافها بمشرط حاد انتقاما من والديها « لن أرضى هذه اللحظة بأن يختار غيري مصيري و يتحكم في حياتي .أقفلت باب غرفتي علي . عالمي الصغير...عشت كوابيس كثيرة مرعبة بسبب لسعة المقص الذي ولح الفضاء الصغير بين فخذي و جعل طفولتي مبتورة .هنا كبرت و عشت صباي الناقص .هنا أحببت كتبي و حلمت بأن أكون طائرا ...مدد يدي إلى الدرج السفلي حيث ترقد مذكراتي ورسائلي لنيتشه و هناك أخفيت سرا أصابعي ترتعش و هي تتحسس المشرط الحاد... غرست المشرط في عروق معصمي وسال الدم بسرعة كان يشبه كثيرا ذلك الدم الذي انبثق من الشيء الذي يلتصق بفخذي كان الربيع حزينا حينذاك ، و الآن يبدو أشد حزنا »[30] .رأت "**نور**" في انتحارها راحة وأنها تستخبر الله بظلم والدها لها وتخبره كل التفاصيل التي عاشتها، ينتقم لها منه ، فهي رسالة ، الأنساق المضمرة أفصحت عن تحجر بعض العقول وإيهام البعض ببناء دولة إسلامية تحارب العلمانيين ، وتسن الشرائع و القوانين الإسلامية وتحارب الفتن ، تطبق قانون ختان الإناث الذي عرف جدلية حول الحلال والحرام بخصوصه.

7- الخاتمة:

خلص البحث إلى مجموعة من النتائج و هي كالآتي:

-اقتحمت الروائية موضوعات الطابو.

-اعتمدت الروائية على تعرية الواقع و تجريده من النفاق والعبثية بالدين الإسلامي.

-جعلت الروائية الصراع على أشده بين نور ووالدها .

– فالروائية أدانت التطرّف وعمدت إلى بناء هذه الشخصيّة سيف أساسا راعت الجانب الانساني فيه، وهشاشته و تماهيه مع أفكار السلفيين المتطرفين ، فكثيرا ما كانت تتحامل عليه من خلاص نور وأمها و خالتها ثريا .

–تجسدت شخصية "نور" المتعبة التي تبحث عن الخلاص من براثن الجاهلية التي أخذها والدها عن الجماعة السلفية.

–هذه الرسالة بحمولتها الأليمة حملت رسالة إنسانية وعالمية في محاربة ختان الإناث من جهة، ومن جهة محاربة الإرهاب والتطرف.

–الرواية مغامرة حقيقة باقتحام عوالمهم مغلقة، ورصد بجرأة المسكوت عنه، عدم التصالح مع الذات، العيش مع التصادم.

–تمرد نور، واستدعاء فكرة الانتحار وتطبيقها والتحرر من فوضى السلطة الأبوية التي تقمع و تذل الروح.

5. قائمة المراجع:

1–عبد الرحمن مجيد، التحولات السياسية و الاجتماعية في الرواية التونسية المعاصرة، مجلة الحياة الثقافية ، العدد 232 ، أرشيف الشارخ للمجلات الأدبية و الثقافية العربية ، الكويت ، 1 يونيو 2012م ، ص 74–ص 75.

2–عبد الرحمن مجيد ص 75.

3–زينب لوت، الملائكة لا تطير ، جرأة الاختيار و متعة السرد في مواجهة التطرف – الجزء الأول ، صحيفة شمس اليوم ، تاريخ النشر 7 أبريل 2020 11:49 ، تاريخ الاطلاع 30 أفريل 2021 07:00

http://www.shams–alyaoum.com/

4-بتصرف عبد الله الغذمي ، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2001م ، ص 31.

5-أرثر أيزاربرجر ، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ، تر: وفاء إبراهيم و رمضان بسطاويسي،المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2003م ، ص 30- صص31.

6-ينظر بنفنست ليتش،النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات ، تر: محمد يحى ، القاهرة ،مصر، ط1 ، 2002م، ص 410.

7-سارة العتيبي ، الدليل المرجعي :المصطلحات و المفاهيم الأساسية و تمارين تدريبية حول (الجندر)، الوكالة الأمريكية الدولية (Usaid) ،مجلس البحوث و التبادل الدولي (Irex) ،عمان ، الأردن ، 2020م ، ص 15.

8-سعد البازعيو ميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدرا البيضاء ، 2002م ، ط 2، ص 83 .

9 -محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة و معجم انجليزي –عربي ، الشركة المصرية –لونجمان ، القاهرة ،مصر ، 2003م ، ط 3 ، ص 182 .

10-عصمت محمد ، الجندر الأبعاد الاجتماعية و الثقافية ،دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ، 2009م ، ص 63.

11. Gérard Genette ,edi ge Seuils, Paris , 1987 , P 13 -

12-سامح الرواشد ، منازل الحكاية دراسات في الرواية العربية ، دار الشروق ، عمان ، الأردن ، دط، 2005م ، ص 135.

13-عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995م ، ص 277.

14-عبد الرزاق بلال ، مدخل إلى عتبات النص مقدمات النقد العربي القديم ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، دط ، ص 2000م ، ص 16.

15-فاطمة بن محمود ، رواية الملائكة لا تطير ، دار زينب للنشر و التوزيع ، تونس ،ط1 ، 2020م ، ص 45.

16 -فاطمة بن محمود ، رواية الملائكة لا تطير ، ص 88.

17-المصدر نفسه ، ص 80.

18 -م ، ن ، ص 87.

19 -م ، ن ، ص 06.

20 -م ، ن ، ص 161.

21 -م ، ن ، ص162.

22-أحمد الجمّال ، الكاتبة فاطمة بن محمود: الرفض جوهر العملية الإبداعية ، كاتبة تونسية دخلت عش الدبابير برواية «الملائكة لا تطير» ،تاريخ النشر 23-11-2020م ، 10:24 ، تاريخ الإطلاع 30 أفريل 2021م ، 06:00 ،جريدة ، الجريدة الكويتية ، https://www.aljarida.com/articles/1606060282850873500/

23 -فاطمة بن محمود ، رواية الملائكة لا تطير ، ص 86.

24-ضياء الكعبي ، السرد العربي القديم ، الأنساق الثقافية و إشكاليات التأويل ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، لبنان ، ط1 ، 2005م ،ص 87.

25 -بن محمود ، رواية الملائكة لا تطير ، مصدر سبق ذكره ، ص 08.

26 -المصدر نفسه ، ص 21.

27 -م ، ن ، ص 92.

28 -م ، ن ، ص 154.

29 -م ، ن ، ص 164.

30 -م ، ن ، ص 164.